مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 08 عدد: 04 السنة: 2019
ص: 243 - 266 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

مضامين الشعر الموجّه للأطفال في ليبيا ديوان (الزهرة والعصفور) لـ:حسن السّوسي أنموذجا

The Contents of the Poetry of Children in Libya Divan (Venus and the Sparrow):Case Study of Hassan Al-soussi

د . عمر يوسف *

Omar Youcef

جامعة العربي التبسي– تبسة – الجزائر

University Of Tebessa/ Algeria

تاريخ الإرسال:2019/02/16	تاريخ القبول: 2019/07/23	تاريخ النشر: 2019/09/25

ملخص البحث

هذا البحث يتضمّن محاولة لدراسة الشعر الموجه للأطفال في ليبيا استنادا إلى أحد روّاده ؛ وهو الشاعر والمربّي حسن السوسي من خلال ديوانه الشعري الطّفلي المطبوع (الزهرة والعصفور) جريا على منهج تحليل المضمون؛ لاستنباط ما يحمله هذا الشّعر من منظومات قيمية، والكشف عن مساهمته في بناء الشّخصية الطّفلية الليبية.

فكانت المضامين التي عالجها حسن السوسي في شعره للأطفال قريبة من واقع الطّفل، حيث أخضعها لأهوائهم، وعبّر فيها عن أحاسيسهم، وهاجر معهم في رحلة متنوّعة المضامين، والتزم هاجسهم: الأدبي، والثّقافي، والطّبيعي ، والدّيني، والتّربوي، والاجتماعي؛ وجعل كلّ ذلك يجري معانٍ في أوردتهم ، بإصابة أذواقهم الشّعرية على امتداد مراحل الطّفولة المختلفة.

الكلمات المفتاح : مضامين، شعر؛ أطفال ؛ تربوية؛

Summary:

This research includes an attempt to study the poetry of children in Libya based on one of its pioneers; he is the poet and educator Hassan Al-soussi through his printed divan of infantile poems-(Venus and the Sparrow).The usual method of content analysis; to deduce the valuable systems that this poetry carries, and disclose its contribution in building the Libyan infantile personality.

* عمر يوسف. rafeithaer1@gmail.com

The contents were dealt with by Hassan Al-soussi in the poetry of children were close to the reality of the child, where he shaped them according to their own desires, expressing their feelings, and migrated with them in a journey of various contents, and committed to: the literary, cultural, natural, religious, educational, and social concern; and he made all that run meaningful in their veins, by targeting their poetic preference along the different stages of childhood.

Key words: the contents; poetry; children; education.

مقدمة

إنّ أدب الأطفال بما يقدّمه من خبرات لغوية، ودعائم فكرية وأخرى نفسية يعتبر وسيطا فاعلا لنشر ثقافة الطّفل باستقاء المعرفة والقيم، إذا ما أُحسن استغلاله، بالتّركيز على مواءمته لمختلف مراحل الطّفولة بالتّخطيط الجيّد باستغلال كافة الوسائط، والوسائل التي تفضي إلى أحسن النّتائج المرجوة لرسم ملامح المستقبل.

والشّعر باعتباره أحد الفنون التّعبيرية ضمن أشكال أدب الأطفال يؤدّي وظيفة تفوق ما سواها من الفنون الأخرى على غرار القصّة، والمسرحية تحديدا، فيمتاح الشّعر من مناهل الحياة على تنوّعها، والحافلة بشتّى الموضوعات التي تتضمّن المعارف والمعلومات والأحاسيس التي تُقدّم في قوالب فنّية تلائم قدرات الطّفل. فشاعر الأطفال كغيره من الشّعراء يكون قلقا مهموما بما يختار لمتلقّييه من تلك المناهل الحياتية؛ ليسدّ رمق الطّفولة الباحثة عن إجابات لأسئلتها الحائرة، متحرّيا في تصوير تجاربه عوالم الأطفال الشّخصية، وعوالم لعبهم وطبيعتهم، ومدارسهم، وإنسانيتهم كقيمة أساسه في حياة البشر، في إطارٍ مقنعٍ من خلال التّجارب الطّويلة، بوضع بسمة الملائكة على شفاه الأطفال. وأن يكون إنتاجه الشّعري للأطفال يتناسب وكلّ القدرات الطّفلية، ويتواءم مع مختلف المراحل العمرية .

لقد أصبح موضوع الطّفل والطّفولة في العصر الحديث يحظى بمكانة عظيمة في الدراسات التربوية، والنفسية، والاجتماعية، والأدبية، وبلغ مبلغا عظيما، حتى أضحى التّعامل مع هذا الموضوع فنّا مستقلا تأصيلا وتقعيدا. ودراسته في ظلّ عالم يتماوج بما يحيط بالأطفال من رقمنة ومعطيات حضارية تقنية وتكنولوجية، وهي سمات العصر الذى نعيش فيه؛ تطلّب أن يكون الخطاب الموجّه لهم يتماشى في موضوعاته مع هذا التّطوّر التكنولوجي والفضاءات المفتوحة، وقد

عمد كثير من الأدباء والشّعراء المهتمّين بشأن الطّفولة إلى التّنويع في مضامين موضوعات إنتاجاتهم الأدبية الموجّهة للأطفال، فتناول الشّعر شأنه شأن القصّة والمسرح، مضامين متنوّعة من مثل المضامين الدينية و الاجتماعية والتربوية والتعليمية وغيرها، وهو ما سنحاول مقاربته من خلال ديوان (الزهرة والعصفور) للشاعر الليبي حسن السوسي[1]، هذا الأخير الذي يقدّم لمجموعته الشعرية الطفلية بقوله: "كلّ قطعة من هذه المجموعة تخدم غرضا، فهي تشعر التلميذ بأهمّيته ككائن مفيد، وتنمّي حبّه لوالديه، وأهله، ووطنه، وقومه..."[2] فإذا كان يقصد بالغرض المضمون، فهل حقّق فعلا ذلك؟ وهل مجموعته تستحق الدراسة؟ وماهي المضامين التي عالجها؟ وأسئلة أخرى، ستجيب عنها هذه الدراسة.

أولا– مفهوم شعر الأطفال:

إن شعر الأطفال هو الشّعر المكرّس لهم، وينطبق عليه ما ينطبق على الشّعر عامّة من تعريفات ومفاهيم، وعلى ذلك فهو "لون من ألوان الأدب يحقّق السّرور والبهجة والتّسلية، والمتعة للأطفال، ويتضمّن الخبرات التّربوية المناسبة، وجوانب الطّبيعة التي تتّفق والميول الأدبية للأطفال، والتي تتّصف بالحركة والنّشاط والحيوية ذات الإيقاع الموسيقي، ويأخذ هذا الشّعر الشّكل القصصي، أو المسرحي، أو الغنائي، ولا يشترط فيه أن يكون المؤلّف متخصّصا للأطفال، بل يشترط فيه أن يكون مناسبا للأطفال"[3] غير أنّ مسألة التخصّص هذه تثير اشكالات كثيرة؛ لأنّ الكتابة للأطفال عموما مسألة محفوفة بالصّعوبات وتخضع لشروط، ولعلّ الشّعر الموجّه للأطفال من أصعب فروع الشّعر "لأنّ شروطه كثيرة جدّا، ومن أجل ذلك كان كُتّاب هذا النّوع قلّة قليلة مقارنة مع كتّاب القصّة والحكاية والمسرحية...ليس بالنسبة إلى العالم العربي فحسب؛ بل في كلّ دول العالم "[4] ويتراءى لنا أن كثيرا من الذين يكتبون للأطفال هم في الأصل متحوّلون من الكتابة للكبار إلى الكتابة للصّغار، بعد تجربة طويلة ورغم الإيجابيات في ذلك "فإنّ أولئك الأدباء لا يتحرّرون من عالم الكبار فيما يكتبون، فتأتي مؤلّفاتهم حول ما يهتمّ به الطّفل، دون الولوج في عالمهم الخاص"[5] فضلا عن المثالية المفرط فيها، حيث يصوّرون للطّفل الجمال في كلّ شيء، ويبتعدون به عن الواقع.

إنّ الشّعر الموجّه للأطفال يلتزم بضوابط فنّية ولغوية، ونفسية وجمالية واجتماعية وتربوية، ويهدف إلى تصوير الحياة بالتّعبير المتميّز، وعرضِ أفكار وأحاسيس وأُخْيُولاَتٍ تتّفق ومَدَارِكَ

الناشئة وميولاتهم. ويتناول كل ما يمكن لألوان الأدب الموجّه للأطفال الأخرى أن تتناوله، إلا أنّه يتشكّل في صيغ أدبية متميزة تمكّن الأطفال من خلاله أن يحلّقوا بعيدا في أجواء الفضاء، ولذلك فهو يتطلّب رؤية وخبرة تراعي الاعتبارات السّابقة الذّكر بالإضافة إلى التّمرّس النّوعي في فنّ التّعامل مع الأطفال من حيث الأسلوب، والفكر، والسّلوك، وهي اعتبارات شرطية لابدّ أن تجتمع في شخص كاتب الأطفال؛ حتّى يصل بكتاباته إلى الأهداف المرجوّة.

ثانيا– حركة الشعر الموجّه الأطفال في ليبيا:

يعدّ انتشار التّعليم من أبرز العوامل في نشوء أدب الأطفال في الأدب المغاربي "فقد ظهر الطّفل من خلال التّعليم، وكانت الحاجات المدرسية أكثر إلحاحا من أن تنتظر تطوّر أدب الأطفال؛ لهذا السّبب بدأ المربّون يسدّون الثّغرة في الكتابة للأطفال وقد كانت لهم محاولاتهم الجادّة لتلبية حاجات الطّفل فيما يعتقدونه صوابا في حقلي الشّعر والنثر"[6] وقد تجلى ذلك مع ظهور الحركات الإصلاحية، والجمعيات العلمية والنّوادي الثّقافية، غير أنّ ذلك لم يكن واضحا في ليبيا؛ لغياب المعلومات عن الحركة الأدبية فيها، وكأنّ الأدب الليبي لا يستحق الذكر والدراسة؛ وأسباب ذلك كثيرة تستحق نبشا مستقلا في غير هذه المساحة الضيقة.

لقد عاشت ليبيا نفس الظّروف السّياسية والتاريخية التي عاشتها دول المغرب العربي تحت وطأة الاستعمار، في عزلة مضروبة بين الجناح الشّرقي والجناح الغربي من البلاد العربية، فقد كان "الاستعمار – ولايزال– يبارك هذه العزلة لأنّه لا يستطيع أن يحتوي هذه الأقطار في مناطق نفوذه إلّا فرادى منعزلة متفرّقة الهواء"[7] لذلك لم تظهر بوادر أدب الأطفال في ليبيا إلا في النصف الثاني من القرن الماضي، ففي سنة 1962 ظهرت قصيدة(غيث الشهيد)للشاعر أحمد رفيق المهدوي (1898–1961) ضمن ديوانه (شاعر الوطن الكبير) ، وهي موجّهة أصلا للكبار لكن "بما أنّها تتضمن بسطا لآمال صبي ليبي فقير يتيم لأب مجاهد فهي بذلك قادرة على محاكاة أفكار الصبيان الليبيين، ومن ثمّ فهي تمس (أدب الأطفال) في ليبيا"[8] وإن كثرت فيها المآسي.

وبعد أربع سنوات أي في سنة 1968 قام الكاتب الصيد محمد أبو ديب بنشر ودراسة ديوان الشاعر أحمد أحمد قنابة(1968–1998) تحت عنوان(أحمد قنابة: دراسة وديوان) وركّز في دراسته على المضمون الوطني الموجه للأطفال، تماشيا والظروف الاجتماعية السائدة آنذاك ، نقتطف من هذا الديوان مايلي:

ليبيا لنا ذات العمـاد *** ليبيا لنا من عهـــد عاد
ما بان منها أمس عاد *** في قدســـها هام الفؤاد
أين الشّيـــوخ بُنَاتَهَا *** أين الكهـــــول دُعَاتها
أين الشبـــابُ حُمَاتها *** دنيا النُّهـوض والاقتصاد[9]

وبقي الحال يدور في حلقة هي أشبه إلى المبادرات في شعر الأطفال في ليبيا ، وما فعله كلّ من كتب للأطفال لم يتعدّ منهجهم في ذلك تبسيط تجاربهم وانشغالاتهم للوصول إلى قلوب الأطفال، بعيدا عن المعيارية الفنّية والإبداعية؛ التي ظلّت "رهينة الاجتهاد الذّاتي المنقطع عن سواه من التّجريب الأدبي وهم كتّاب الكبار إذ خاضوا هذا المسلك إنّما اجتهدوا في تكييف أدوات كتاباتهم الأولى بالنّحت والتّصغير، والتّبسيط؛ لكي يصلوا بها إلى سذاجة الأطفال"[10] وبقي الأمر كذلك حتّى حلول سنة 1986، عندما ظهر صاحب معجم(الأسماء التراثية في ليبيا ومعانيها) في اتصال جديد بأدب الطفولة في ليبيا مع كتابه (التذكرة إلى عالم الطفولة) الذي ضمّنه الأغاني الشعبية الطفلية في كلّ أغراضها، وخاطب الأطفال من خلال المجتمع، والأعياد والمناسبات، والفكاهة، في شكل أغاني قصصية.

وفي سنة 1988، ظهرت سلسلة (اقرأ واكتب) لصاحبيها، رمضان القذافي، وعبد الله سويد، وهي عبارة عن مجموعة شعرية في شكل قطع قصيرة تعالج معظم المضامين الموجهة للأطفال، ذات طباعة راقية "وتحتوي على قيم أدب الأطفال الأخلاقية، والمتمثلة في قصائد الشعر، والأناشيد، لأنّها تشتمل على طريقة تربوية لمعالجة الدروس المقدّمة، لتكون أداة من أدوات التربية والتعليم، ونشر القيم الأخلاقية الرفيعة"[11].

وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ أي سنة 1992، ظهر للنور ديوان(الزهرة والعصفور) لحسن السوسي المعلّم والربّي الفاضل الذي أفنى عمره في تعليم الناشئة، وهو الديوان محل هذه الدراسة، باعتباره أول عمل شعري مستقل يؤسس لشعر الأطفال في ليبيا، وتأريخا لانطلاق التأليف الحقيقي في أدب الأطفال فيها، حيث "بدأ الشّعراء يقفون عند المشاعر والأحاسيس الدّاخلية للطفل، ويتقمّصون شخصه ويتحدّثون بلسانه، ويحلّقون بأجنحته ويعالجون موضوعات مستمدّة من بيئته وداخلة في نطاق تجربته، معتمدين في ذلك على علوم إنسانية عديدة كعلم النّفس وعلم التّربية، وعلوم اللّسان باعتبارها روافد تساعد المبدع في فهم هذا المتلقّي الخاص"[12]

وكان بعده ديوان (20 قصيدة للأطفال) للشاعر عبد اللطيف المسلاتي(1950-...)، سنة 1995، كجزء من ديوان كبير عنوانه(100 قصيدة للأطفال) وهذا الشاعر يعتبره النّقاد مؤسس قصيدة النّثر في ليبيا في مجموعتين شعريتين هما (سفر الجنون1)و(سفر الجنون2) ولكن لم يجنِ الأطفال من شعره سوى عنوان الديوان، فعظم قصائده التي زعم أنّها موجّهة للأطفال تحمل "نزعة فلسفية غامضة، قد تتفاعل أو تستوعب من عقول راشدة مستعدّة للخوض في الموضوعات المدركة كالموت، والحياة"[13]، وهذا مقتطف من قصيدة(كيان) النّثرية:

أطفالا جئنا-كالشمس- لا مثيل، ولا نظير..

نَكادُ نُبْهِرُ الأبصار

حُسنًا وجَمَالا...

روعةً وبهاءً!![14]

ثمّ ديوان (سفينة الأحلام) للشاعر عبد المطلوب محمد المقلوب "ويعدّ الديوان في حكم المفقود من أدراج المكتبات، ولم يظهر أي مؤلف شعري موجّه للطفل من بعد ذلك عدا بعض القصائد، والأناشيد المنتشرة في الدوريات"[15].

ثالثا- مضامين شعر الأطفال عند حسن السوسي:

1- المضامين الدينية:

لقد أكّد علماء النّفس ورجال التّربية، على أهمّية مراحل الطّفولة؛ ذلك أنّ حياة الطّفولة لها أثر خطير في توجيه حياة الإنسان بكلّ مراحلها ففيها تتكوّن شخصية الإنسان، وتتبلور طباعه وتتشكّل ميوله وعاداته واتّجاهاته. فالطّفل كلّما تلقّى خبرات جديدة ومفيدة كلّما تقدّم في نموّه المعرفي والعقلي والحركي وتطوّر توافقه الاجتماعي، بتغذية من أدب الأطفال بعامة.

والشّعر أحد فنون هذا الأدب؛ الذي يعمل على تنمية الطّفل، وصوغ وجدانه في القالب المنشود، وتعليمه وتثقيفه، وإشعاره بأصول التّصور الإسلامي لعلاقة المسلم بالمسلم "والعمل الجماعي المنتظم، والمنبنى على التّصورات الصّحيحة، والتّخطيط الواعي المستند إلى القرآن والسّنّة، وسلف الأمّة"[16] الذي يكون للطّفل دور فيه بالحفظ والإنشاد؛ لما فيه من عظات صادقة، تمنح الطّفل دفقات من العزيمة والإصرار للسّير نحو المستقبل؛ لتذوّق الرّحمة، وإدراك معنى العدالة.

وقد لا نجانب الحقيقة إن قلنا أنّ موضوعات الشّعر الدّيني هي التي تتصدّر الكتابات الموجّهة للأطفال في بلاد المغرب العربي، وليبيا قطر من هذه البلاد "وفاقا لما يقوم عليه المجتمع من حسّ قوي، وروح جيّاشة تجاه كلّ ما له صلة بهذا الدّين الحنيف فلقد أدّت هذه الرّوح دورها التّربوي، والتّعليمي في كلّ الأعصر الحضارية التي قطعها هذا المجتمع ويقطعها"[17] فالموضوعات الدّينية بمضامينها المتنوعة قد تطرّق لها الشّعراء في أشعارهم بوصفها أحد المظاهر الأساسية في المجتمع يستمدّون منها كل العزم والقوة والخلود، ليبقى صوت الإسلام عاليا ورايته خفّاقة انطلاقا من المخزون المعرفي المعتمد على الموروث الدّيني في التّوظيف على أساس فاعلية التّواصل مع المتلقّي الصغير، وإحاطته بثقافته ومعرفته الخاصّة بشكل واقعي وعصري يجعل الأطفال يتذوّقون ما يُضيفه المبدع إلى الموضوعات الدّينية.

وتتجلّى أهمّية الشّعر الدّيني بمختلف موضوعاته في كونه "فنّا أدبيا يستمدّ جمالياته من الإعجاز البياني وممّا أوتي من جوامع الكلم، ويستلهم قِيَمه من معاني الذّكر الحكيم والهدي الشّريف، ومن أدب السّلف الصّالح الواعي لمهمَّته في الحياة. ولعلّ هذه الرّؤيا هي الّتي جعلت العديد من شعرائنا في العصر الحديث يبدعون في القصائد الدّينية"[18] ذلك أنّ العلاقة بين الدّين والأدب لم تنقطع على مرّ العصور، ورغم ما قد يُصيب أحدهما من تقدّم أو تأخّر في زمن ما، فإنّ هذه العلاقة تبقى قضية أصيلة بحكم عنصريْ الممارسة والأداء لكل منهما "على نحو لا يعود معه أيّ عنصر في وَاحِدهما غريبا عن الثّاني، وبالفعل تعبّر الأصالة، من جهة أولى عمّا هو عفوي إلى أقصى حدود العفوية عند الفنّان، ولا تعبِّر من الجهة الثانية إلّا عمّا هو من صميم طبيعة الموضوع بحيث تظهر أصالة الفنّان وكأنّها أصالة الموضوع نفسه..."[19] وثنائية الممارسة والأداء جعلت الأدب عامّة، والشعر خاصّة ينمو في رحاب القرآن الكريم، ويمتاح من فيضه الأمر الذي جعل الشّاعر المسلم الذي يكتب للأطفال يهتمّ "بتأصيل القيم الرّوحية في نفوس الأطفال، وغرس الفضائل الحميدة، والأخلاق النّبيلة، وتهذيب الطّباع، وتعديل السّلوك، وتعميق معنى الإيمان، وتأكيد مبدأ الوحدانية، وتقريب فكرة الألوهية إلى عقول الأطفال بصورة مبسّطة"[20].

وشعر الأطفال عند الشاعر حسن السوسي لم يخل من الموضوعات ذات المضامين الدينية، فقد استهلّ ديوانه بأنشودة (دعاء) متوجّها إلى الله سبحانه وتعالى بالدّعاء والتضرّع والتّوجّه إليه

في كلّ الأمور على لسان الطّفل هادفا من ذلك تعميق الصّلة الرّوحية بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى، حيث يقول:

يَا ربّـــنَا.. يَا رَبّـــي *** يَا هَاديًا للـدَّرْبِ
اِفْتـــحْ لَنَا الأبْـواب *** وأَرِنَا الصَّـــوَابَا
واهـــدِنَا السَّبِيـــلَ *** وَنَـــوِّرِ العقُـولَا
يا ربّـي واكشِفْ غَمِّي *** واحفَظْ أبي وأمّي[21]

ثمّ يضيف الشّاعر في ذات الأنشودة متوسّلا للّه سبحانه وتعالى أن يملأ قلبه بالحب، وينوّر دروبه، ويسعد حياته وأن يبارك ثمرة اجتهاده، وحصاد عمله المثمر الذي يعود بالنّفع على البلاد والعباد، وهي قيم دينية وحضارية لها علاقة بالعقيدة الإسلامية أراد الشّاعر أن يرسّخها في الأطفال، ليستقيموا في أخلاقهم كسلوكات لبناء الأمم وأن يتوجّهوا إلى الله دون سواه بالدّعاء والتّضرع والخشية ولعلّ ذلك من أسمى أهداف أدب الأطفال الإسلامي إذ يقول:

واملأْ بِحُبِّ قَلْبِي *** واملأْ بِنُـــورٍ دَرِبِي
وَسَهِّـلِ الدُّرُوسَا *** واسْعَـــدِ النُّفُوسَا
فَأَنْتَ أنْـتَ رَبِّي *** وأَنْتَ أَنْـتَ حَسْبِي[22]

ولقد كان ولا يزال الرّسول صلى الله عليه وسلم الأنموذج المثالي الذي تهفو إليه كلّ نفس مؤمنة ويتعطر بسيرته كلّ لسان ذاكر، وكثيرا ما مدحه الشّعراء ولهجوا في شعرهم بمناقبه ومآثره، تشفّعا وتبرّكا، فقد "وجد شعراؤنا تراثا ضخما من المدائح النّبوية بدأت من حسّان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ومَن عاصره من الشّعراء الإسلاميين، ثمّ من تَلاهم من الشّعراء على مرّ الأيام والدّهور وقد تلوّنت تلك المدائح بأذواق العصور الإسلامية المتوالية...فحملت قصيدة المدح إلى جانب المعاني الدّينية، أشواق العصر وتطلّعات أهله إلى المستقبل ورجاء المؤمنين في حياة أفضل"[23] وشاعرنا حسن السوسي له تجاوب مع هذه المعاني السّامية التي يجيش بها قلبه، في سياقات مناسبة للأطفال مرتبطة بمناسبة دينية هي عيد المولد النّبوي الشّريف التي ينتظرها الأطفال بشغف كلّ عام، ولا أحسن من أن يرويهم من منبع شعره على ألسنتهم في هذه الذكرى إذ يقول:

في عِيدِ ميـــلادِ النَّبِي *** وَيَومه المحبَّبِ

يحتفـــــلُ الكبـــارُ *** ويفـرحُ الصِّغَارُ
فَعُدتَ يَا عيـــدُ لَنَا *** بِعِزِّنَا وَنَصْـــرِنَا
أكرِمِ بذِكْـــرَى مَولدِ *** نَبِيّنَا محمّـــــد[24]

ومن الملاحظ أنّ المعجم الذي استعمله الشّاعر في هذه الأنشودة هو معجم سهل، له صداه اللغوي والموسيقي، ويلقى القبول عند الأطفال الذين انسجم معهم في مرحلة الواقعية والخيال المحدود، حيث تناول المناسبة من مظهر حبّ الرّسول صلى الله عليه وسلم وإجلال شخصيته في نفوس الأطفال في طابع ديني بحت.

وإذا كان الشّاعر قد استلهم من القرآن الكريم أفكاره السابقة في صياغة شعره للأطفال متعاملا معه كمنبع لثقافته الإسلامية؛ فإنّه لم ينساه وهو الإعجاز الإلهي ومنهج الحياة الرّبّاني الكامل الذي أنزله اللّه سبحانه وتعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون دستورا وشريعة، وتاج الأدب وقاموس اللّغة العربية أسلوبا وعرضا، ومظهر البلاغة، والطّاقة الخلّاقة من الفكر والذّكر، الذي قال فيه ألدّ أعدائه، وهو كافر بمحمّد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن: "واللّه إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّه ليحطم ما تحته، وإنّه يعلو وما يُعلى"[25] لذلك كلّه أفرد الشاعر قصيدة للقرآن الكريم، ووسمها بـ (القرآن الكريم) وتفنّن فيها بالصّبغة التوشيحية سالكا "سبيل الاستجابة للصّوت الدّيني الكامن في أعماقه ليظهر هذا التأثير المتعدّد في كثير من شعره، ليرسم صورا مستوحاة من القرآن الكريم، ومعانيه"[26] للوصول السّهل إلى شفاه الأطفال:

قرآنُـــــنا الكريـــم *** دُستُورنا القويـــم
شريعَـــة المجتمـــع *** وغايـــة المتَّبـــع
الله قـــد أنزَلـــهُ *** إلى الذي أرسَلـــه
سيـــدنا محمّـــد *** مبيّـــنا للرّشـــد
واحفظ إن استطعتَ *** من آيِـــهِ ما شئتَا
فَحفظُـــه سَعـــادة *** وذِكـــرُه عبَـــادة[27]

وفي قصيدة (الصلاة) وهي قصيدة شبيهة بالأرجوزة، يقترب فيها الشاعر حسن السوسي من حسّ الأطفال ويداعب الذّائقة الغنائية لديهم بجعلهم يتغنّون بها، ويشعرون بالسّرور حيالها، لأنّها "تنمّي خيالهم وتوقظ عواطفهم ومشاعرهم، وتغرس فيهم القيم الدّينية والمبادئ الخُلقية"[28]

ففيها المعاني القَيِّمة، أين اصطفى لهم الألفاظ ذات الأثر العميق في نفوسهم المتلقية، بعيدا عن مظاهر التّكلّف؛ وهو المعلّم الذي يشرح درس الصلاة لمتعلّميه، فهي الواجب، وعمود الدين، وبها نميز المسلم من غيره، ولا تصحّ إلا بالوضوء والنّية، وكلّ هذه المعاني والمضامين والقيم التي تمسّ العقيدة الصحيحة يجمعها شاعرنا على لسان الإنسانية في طفولتها في قوله:

تَلزمنَا المَواظبَـــــه *** على الصّلاة الواجبَه
فهي عِماد الدِّيــن *** لمَن لَكنِـــه المتِيـــــن
وهي شِعارُ المسلِـم *** المؤمـــن الملتَـــــزِم
تسبِقها الطّهـــاره *** والنِّيّـــه المختـــاره[29]

ويتابع الشاعر رحلته مع الصلاة في ذات الأرجوزة التي يبني فيها البيت أو البيتين على قافية واحدة في الصّدر والعجز، ثمّ ينتقل بنفس الطّريقة إلى البيت التالي، وتلكم هي مطالب شعر الأطفال الغنائية والإنشادية المطبوعة بالإيقاع الحركي، والتّنويع في القافية، ليبين للأطفال اسم كلّ صلاة ووقت أدائها، حيث يقول في المقطع الموالي:

إنَّ صَلاة الصُّبْــح *** تَفْتَحُ بابَ الرِّبْـــح
والظُّهْرُ وَقْـت عُرفَا *** إذَا النَّهارُ انتَصـــفَا
والعَصْـرُ بعْدُ صَلِّ *** عندَ ازدواجِ الظّـــلِّ
وشمسُنا إنْ تَغِـــب *** فَثمَّ وقتُ المغـــرِب
ثمّ صلِاة الغَســـق *** عند غِيابِ الشَّفَـــق[30]

ولا ينسى شاعر الأطفال حسن السوسي عبادة روحية أخرى وهي عبادة الصوم في شهر رمضان، وهي مناسبة لها نكهة خاصّة عند الأطفال وبخاصة في نهايتها حين تختم بعيد الفطر، رمز الاحتفالات والزيارات والملابس الجديدة، والحصول على العيديات والهدايا، فعيد الفطر عند الأطفال مظهر للجمال والفرحة، لذلك نظم الشاعر رائعته (عيد الفطر) التي بناها على المقطعية الثنائية معدّدا قافيتها، ومستعملا العنوان كمفتاح دلالي في قلب القصيدة، محدثا نغمة موسيقية عبر تكرار أسلوب النّداء من خلال حرف النداء(يَا) في غير موضع، ووظفه ليعبّر به عن الإلحاح في التّنبيه، ويتراكم تكرير لفظ (العيد) عند حسن السوسي في هذه القصيدة وكأنّه "لابدّ أن يتوفّر فيه ذهنيا مسافة في الدّلالة تسمح للّفظة التّالية أن تستقرّ بعدها محقّقة نوعا من اكتمال

المعنى أو بيانه أو تحقيقه"[31] ويربط عيد الفطر بكل قيم الخير والبشر، ودلّ على ذلك بما يحبه الأطفال من أفعال دالة على البشرى(هلَّ، نحظَى، نسعَى...) حيث يقول في هذا المقطع:

يَـا أحْبَـــــابِي *** يَا أصْـحَابِي
يَـا إِخْـــــوانِي *** يَا أتـــــرَابِي
هـــلَّ العِيـــدُ *** عيدُ الفِــطرِ
بعْـــدَ الصَّـــومِ *** صومُ الشَّـهْرِ
فَغـــدًا نحــظَى *** بالأَثْـــوابِ
وغَـــدًا نَسْــعَى *** بالأَلْـــعابِ
هلَّـــــتْ بُشْرى *** عِيدُ الفـــطرِ
عِيـــدُ اليُمـــن *** عيدُ الخيـــر[32]

2- المضامين الاجتماعية:

إنّ موضوعات الشّعر الاجتماعي عامّة ترتبط في مضامينها بالقضايا الاجتماعية الظّاهرة، والباطنة التي تثار في المجتمع إيجابية كان أم سلبية أمّا في شعر الأطفال "فتبرز الظّاهرة الاجتماعية والغاية منها بشكل مباشر وقريب من الطّفل، ولقد وقف مجموعة من الشّعراء عند المظاهر التي تخصّ الطّفل، وتعكس علاقته بأسرته ومدرسته ومجتمعه، وبقضاياه وعاداته السّلبية والإيجابية"[33] وعلى ذلك فالشّعر الاجتماعي للأطفال هو ما تحويه القصائد من أفكار تتعلّق بواحدة أو أكثر من القيم، والظّواهر الاجتماعية التي لا يمكن تفسير ظاهرة منها بمعزل عن مضمونها، مثل ظاهرة الأمومة والأبوّة والأخُوَّة والعادات والتّقاليد السّائدة في ثقافة المجتمع، فالشّاعر لابدّ أن يقيم علاقة مُعينة بينه وبين بيئته الاجتماعية لتتضمّن "إحساسه بنقص في هذه البيئة فيدفعه شعوره بهذا النقص إلى البحث عن الحل الذي يرضيه من خلال إبداعه للقصيدة"[34] فالشّاعر إذن يمارس عملية تغيير، بالنّسبة لمن يحيط به من أفراد، بتغيير وجدانهم، وتكمن عبقريته في إيضاح علاقته بمجتمعه بتركيباته وأطيافه وتوجّهاته.

وحسن السوسي حاول أن يعيش في سبيل جمهور الأطفال، حيث نشأ شعره الاجتماعي، وترعرع "في حضن بيئته، ومجتمعه، فكان غنيا بالمعاني الإنسانية النّبيلة والقيم الرّوحية الأصيلة"[35] تعبيرا باللّغة البسيطة العادية التي يحبّها ذلك الجمهور، ويستطيع أن يتجاوب معها، في موضوعات

اجتماعية مختلفة المضامين التي حفل بها ديوانه(الزهرة والعصفور) والتي عالج فيها الأسرة بأطيافها، والعمل بموقعه ومميزاته، وبعض تركيبات المجتمع البشرية، ومظاهره المادية، وغيرها.

إنّ الطّفل بطبعه اجتماعي والأبعاد الاجتماعية في بيئته المحيطة به تستهويه وليس أقرب له في هذا المحيط من أسرته، الوتر الحسّاس الذي عزف عليه كثير من شعراء الطّفولة. فالأسرة هي عالمه الكلّي، وأداة التنشئة الرّئيسة في أثناء مراحل الطّفولة المختلفة، ولها تأثير في حياته "ويبدأ هذا التّأثير بالاتّصال المادّي والمعنوي المباشر بين الأم وطفلها، فهي ترعاه وتحنو عليه وتشبع حاجاته، كما أنّ لدور الأب والإخوة تأثيرا كبيرا في هذا السّياق"[36] ومادامت الأسرة هي الرّكيزة الأساسية لبناء المجتمع "كانت العناية مطلوبة على نحو ضروري بهذه الرّكيزة، فإذا صحّ أساس البناء أصبح البنّاؤون مطمئنّين إلى الأرضية التي سيعتلي عليها البناء، ممّا يوفّر شعورا بالأمان لساكنيه"[37] وفي هذه المعاني وعن هذه الأدوار يعبّر الشاعر في قصيدة (الأسرة) ذات القوافي المتعدّدة التي تتفارق من بيت إلى بيت وتتفق في العروض والضرب، حيث يقول:

أمّـي وأبـي *** أختي وأخي
أختي سوسـن *** وأخي أيمـن
ولـنا دار *** نعـم الدار
فيـها نحـيَا *** بين الأحْـيَا
قـد آوتْـنَا *** وأظلَّتـنا
أحببـنَاها *** وألفـنَاها
هي كالـوطن *** بعـد الوطن[38]

ثمّ يتوجّه حسن السوسي للطفل في خطاب رقيق؛ ليخبره بأنّ الإسلام قوّم الإنسان على أساس رسالته الاجتماعية ولا قيمة له تُذكر دون عمل صالح يفيد به المجتمع، وأخلاق تزيّن هذا العمل، فها هو يعرّفه بمرفق اجتماعي عام في قصيدة (مجمع الأسواق) معتنيا فيها بالمعنى بمقدرة حاذقة تثير ميول الأطفال وتوجّههم إلى كيفية الوصول إلى المعنى بأنفسهم، ويرتبط بذلك "ألّا نسرف في التّعمّق اللّفظي المعقّد، أو المناقشات الجانبية قليلة الأهمّية في مجال التّذوّق، لأنّها سرعان ما تقلّل من ميل الناشئ إلى الأدب، فلا يستطيع إلى تذوّقه سبيلا، فيتحول إلى الأدب التّافه، وينساق في تياره..."[39] وهو ما فعله الشّاعر حين ركّز على المحسوسات في هذا الجانب بما يتوافق

مع الأساليب الطّفلية في تفكيرهم الحسّي، بحيث تبدو الموصوفات مجسّمة بأشكالها، وأجسامها وخصائصها المادّية في مخيلات الأطفال، وكأنّها جاثمة أمامهم تنبض بالحياة والحركة، فيقول:

هذا البنَـــاء الرّاقي *** مجمّـــــع الأسواق
قد اعتلى طوابـــقا *** تناسقـــــت تناسقا
مُقسّـــــم أقساما *** تكاملـــــت نِظَامَا
فللأثـــــاث قسم *** وللأواني قســـــم
وكلّ قســـــمٍ فيه *** ما النّـــــاس تبتغيه
وهناك كـــلّ طلب *** من مأكل ومشرب
وفيه قســـمُ اللّعب *** وآخـــــر للكتب[40]

وحسن السوسي شاعر ولد من رحم بيئته وثقافته، فلم يكتف بوصف مظاهر السوق للطفل، وإنّما أضاف له جرعة من القواعد السلوكية ذات الوضوح والدّقّة في موضعها، لولا أفعال الأمر التي كثرت في لغته الشّعرية في هذه القصيدة، ونزوحه إلى كثير من عبارات التّوجيه التي قد يفرّ منها الطّفل، وما شفع له أنّه قلّبها على وجوه عدّة، يرسم ويلوّن ، يضيف السوسي في هذا المقطع:

فكـــــنْ فتًى رقيقًا *** إذا دخـلتَ السّوقَ
وارعَ به النِّظـــــاما *** وحاذرِ الزِّحَـــــامَا
وخذْ بقـدرِ الحاجة *** واجتنبِ اللّجَـاجَة
فالطّمـــــعُ المحمُومُ *** صاحبُه مذمُـــــومُ[41]

إنّنا أمام شاعر يتميّز بالذّكاء والفطنة، والنّضج التّربوي، وهو يفقه الكثير من أمور الأطفال ومراحل الطّفولة المتتابعة، وهي المواصفات التي دفعته للكتابة للأطفال، ومنطقه يقرّ بالعلاقة بين الأصالة والتفتّح، في توافق بين الدّفعة الشّعورية والتجلّي الشّعري فقد وجد في شعر الأطفال "هيكلا مرنًا لمشاعره الدّفينة، يرقى معها حينما يحلو له أن ترقى (المشاعر) حيث قوّة المعاني وجزالة الألفاظ، وجلالة المواقف، وينزل معها برفق، حينما يحلو لها ذلك، حيث رقّة المشاعر الوجدانية، وسلامة التّراكيب، وخفّة الألفاظ..."[42] ويتجلّى ذلك في أنشودة (الحافلة) والحافلة ذات ارتباط يومي بالأطفال في تنقلاتهم المدرسية وفي الرحلات الاستكشافية والترفيهية، فضلا عن

كونها وسيلة خدمية اجتماعية في كل المنسابات، نقتطف منها الآتي:

لَوْلَا وجـــودُ الحافلَه *** على الخطـوط العامله
لكانـــتِ المشَقّـــه *** منِ ابْتعـــــادِ الشُّقّه
تسيرُ حســبَ الخُطّه *** محطَّـــــــة..محطَّـــه
تنقـــــلُ كلَّ مسرع *** لمكتـــب أو مصنـع
بأجـــرها الزّهيـــد *** تنقـــلُ من بعيـــد
تقـــــرّب الأرجـاء *** وتربـــط الأجـــزاء
تختصـــرُ الزّمـــانَا *** وتخـــدمُ الإنســانا[43]

وتضخيما لشأن الرياضة، وتعميقا لدلالتها الاجتماعية فقد اقتبس الشّاعر من بيئة الأطفال؛ لإبراز فكرته، وتقديمها واضحة لهم، وتوجيه انتباههم إلى عدّة مضامين وقيم في الوقت نفسه، في مساحة قصيرة، فهو يدعو إلى التعاون، والتنافس الشريف في المباريات الرياضية، في مقابلات لفظية جذّابة ومحبّبة إلى الأطفال من حيث طبيعتها الصّوتية التي تنمّي الإحساس لتذوّق الجمال الموسيقي، وتنمية الثقافة البدنية، وبعض المهارات الحياتية، وهي دعوة أدب الطّفل في جعل هذا الأخير مواطنا صالحا متميّز الشّعور، وبخاصة حين يربطه بمنتخبه الوطني، ويتمنى على لسانه أن يكون عنصرا من هذا الفريق؛ ليكسب جسمه الرشاقة والصحة، وتجليات ذلك كله في هذا المقطع من قصيدة(الرياضة البدنية):

صفّـــــارة المدرب *** قد جلجلتْ في الملعب
فنـــــــزل الفريق *** وارتَفَـــع التّصفيـــق
همُ الفـريق الوطني *** وهمْ فَخـــــار الوطن
تنافـــــس شريف *** وهـــدف نظيـــف
قد أبهجوا النُّفـوسَا *** وأحـرزوا الكـــــؤوسَا
وكمْ أحـــــبُّ أنيّ *** منْ أهـــــلِ هذا الفنِّ
لأَكسِـــب الرّشَاقة *** وأقتـــــــني اللّيَاقـــة
فجِـــــدّةُ الأفهَام *** في صِحَّـــة الأجسَـام[44]

وتناول حسن السوسي تركيبات المجتمع المختلفة، وبعض الأدوار التي كُلّف الإنسان بالقيام بها، وهي لا تختلف في أهمّيتها وإن تفارقت في تسميتها، فالرّسالة ذاتها عند الفلّاح، والصّانع والعامل في مختلف مؤسسات المجتمع، والفارقة فقط في مدى الفاعلية لأداء هذه الأدوار ، وقد حاول من خلالها غرس طائفة من القيم ذات التوجّه الإيجابي في النشء مساهمة منه في تربيتهم على احترام كل أطياف المجتمع الكادحة، لأنّ البلاد في حاجة لجميعهم، وسأقدّم الفلاح كأنموذج لهذه التركيبة، فالزّراعة كانت ولاتزال العمل الأصيل الذي يفتخر به كل فلاح، وجدير أن يتصدّر الفلّاح سلّم القيم الاجتماعية، لأنّه الأهم في معادلة اسمها الأمن الغذائي، وانطلق في ذلك من فلسفته في الحياة، ونظرته إلى العمل، في قصيدة خفيفة (الفلّاح) تدعم الجانب القيمي عند الأطفال، لتقديس العمل كقيمة أساسية للعزّ والنّجاح، يقول في بعض نظمها:

هذا هـــو الفلّاح *** أيقظـــه الصّباح
فقام يسعى ناشطا *** يصحبه النّجـــاح
مكافـــح مناضـل *** محراثه ســـــلاح
غذاؤنا من جهـده *** ميســـر..مـتاح
وكـــــلّ ما ينتـجه *** لغيـــره مـــباح
إنّ الحيـــــاة عنده *** الجـدّ والكـفاح[45]

3- المضامين التربوية التعليمية:

إنّ أمر الشعر التربوي والتعليمي في أدب الأطفال "ليس المقصود به تقرير حقائق، أو حكم في أبيات، وإلّا أصبح مجرّد نظم لا حياة فيه، وإنّما المقصود به تصوير هذه الحقائق وتحويلها إلى لوحات نابضة بالحياة"[46] لتكوين صورة خاصة في ذاكرة الطّفل، وفي أكثر الأحيان تتداخل المضامين التّعليمية مع المضامين التربوية والمضامين الاجتماعية وذلك لارتكاز "كلّ منها على توجيه الطفل وحفزه بشكل تربوي، إلى السّلوك السّليم وإلى التّحلّي بالخلق الكريم، من خلال ربطه بقضية ما، ثمّ توجيهه إلى أخذ الإيجابيات منها"[47] لإيصاله إلى الهدف، والوقوف على حقائق الأشياء.

وقد اهتمّ شعراء الطّفولة في بلاد المغرب العربي بعالم الطّفل المدرسي، وبكلّ ما يتّصل به بتعليمه كيف يعيش مع الآخرين، وجعل تفكيره أصيلا نزّاعا إلى المثل العليا من خير وحقّ، وعدل

وحرية، وتنشئة شخصيته على الأخلاق الإسلامية التي لا يختلف جوهرها بين الأسرة والمدرسة، وتربيته التربية الاجتماعية العقلانية وتدريبه على حلّ المشكلات لتحمّل المسؤوليات، على اعتبار أن المدرسة هي الحضن الثاني بعد حضن الأسرة، فعالجوا في موضوع الشعر التعليمي للأطفال –وإن كنّا نزعم أنّ كل شعر الأطفال هو شعر تعليمي– مضامين متنوعة تدعم الجوانب التّربوية، وتوضّح رسالة المدرسة.

فهذا حسن السوسي الليبي يرسم لوحات مشهدية متعلّقة بالأنشطة المدرسية بعد دوام الدروس الرسمية، وهي أنشطة لا يرقى إليها إلا النجباء والمجتهدين، وفي ذلك تحفيز للآخرين للحاق بركب التّفوق، ويشير الشاعر على لسان الطفل إلى مسألة الرغبات والميولات في اختيار الأنشطة المحبّبة لكن بصحبة المربّي؛ لأنّ صحبة المتعلّم للمربّي شرط في النّظرية التربوية الاسلامية؛ لأنّه "يجد فيه القدوة التي ينقل عنها السّلوك المرغوب به، وليساعده على الفهم، وليجد البيئة التي تمكّنه من تطبيق ممارسة ما ترنو إليه أهداف التّعليم"[48] فبالشعر يخاطب السوسي الأطفال، وبه يختم قصيدته (النّشاط المدرسي) كواحد من الفنون الراقية التي حظيت في المدرسة بقسم خاص انتمى إليه طفلنا الراوي على لسان الطفولة الليبية:

لأنَّـــــنِي مِثَـــــالِي *** أسعَى إلى الكَمَال
مُجْتَهِـــــد، مُـــــؤدّب *** مُوَاظِـــب، مُهذَّب
كان اختيـــــاري أمس *** بَعْد انتِهـــاء الدَّرس
لفـــــــرقِ النّشَـــــاط *** فَـــــزادَ في اغتِبَاطي
وهي تَضُـــــمُّ النُّخَـــبَا *** والنَّابِهيـــــن النُّجَبَا
فبعضهـــــم موسيقـى *** بِحسِّـــــــه الرّقِيـقَا
وبعضهـــــم للرّسْـــم *** بالزَّيْتِ أو بالفَحْم
والبعـــــضُ للرّياضـــة *** بالكـــــرة الرّكّاضـــة
وفرقـــــــةُ التَّمْثيـــــل *** بِفَنّـــــــها الجَمـيل
فاختَرْتُ قِســـم االشِّعر *** العـــــرَبِي المغـــــرِبِي
أحفَظُـــــه أروِيـــــــهِ *** مُجـــــــوّدا أُلقِيـــــهِ
فالشّعـــــــرُ فـــنّ راق *** عند الفـــتَى الذَّوَّاق[49]

وللنظافة حظ في شعر حسن السوسي الموجه للأطفال، ويتّخذ من نظافة الأسنان أنموذجا لذلك، باستعمال أفعال الأمر الطلبية؛ حتى يبعد الطفل عن التّلقي السلبي بالأوامر، ويتضح في قصيدة (نظافة الأسنان) أن الرّجل خبر الموضوع جيّدا وقدّمه بأسلوب سهل بتمكّن واقتدار، ليضيف إلى شعره أنموذجا يتميّز بتبسيط المعلومات للأطفال، وكأنّ قصائده "يجمع بينها خيط شعوري واحد وكأنّها قصيدة واحدة طويلة تجمع بين أبياتها شتّى المشاعر، جنبا إلى جنب في تأليف فريد"[50] فهو يقدّم للأطفال وصفة قواعدية مدرسية حول تنظيف الأسنان وكيفية حمايتها، حين يقول:

أسْنَانُـــــك الجميلَه *** تَلْزَمـــــــهَا العِنَايَه
فخُذْ لَهَا الوسيـــــلَه *** في الحفـــظِ والوقَايَه
وبعدَ كُـــــلِّ أكـــلَة *** في اللّيـــــــل والغَدَاة
اعمـــدْ إلى التَّنْظيف *** بالمعجُـــون والفرشَاة
واحذَرْ طَعاما ساخنا *** بعد طَعـــــــام بارد
أو خلـعَ شيء ثابت *** أو كسرَ جسم جَامد
نظَافـــــــة الأسنان *** سلامـــــــة الأبدان
فأنـــــتَ إنْ أهمَلْتَهَا *** مرضْـــــــتَ بَعْدَ آن[51]

ثمّ ينتقل إلى آداب الأكل كقيم تربوية يعالجها من خلال ما يقدّمه للأطفال من أناشيد وقصائد، بتحريك أفكارهم ضمن المنظومة القيمية للأخلاق، وهذه القيم يسعى المعلّم دوما إلى غرسها في نفوس الناشئة، وقد عمد الشاعر إلى توضيح أبعاد هذا القضية في جمال أداءٍ وحلاوةِ إيقاعٍ، فكان نشيده (آداب الأكل) نقتطف منه هذا المقطع:

وحينَ يَأْتِي الأكـــل *** فاغسلْ يديكَ قبْـل
وسمِّ باسمِ المنعـــم *** على العبَاد المطْعِـم
ولا تَكنْ معاتـــــبا *** إنْ لمْ يكن مناسبا
فالولـــــــدُ المؤدّب *** يعرف ما لا يرغـب
يَأخـــــــذُ من يَلِيه *** ما النَّفـــس تشْتَهيه
فَخذْ بمقدَار الفَـــم *** وأنِّ بيـن اللُّقـــــم[52]

ويتقمّص الشاعر المربّي دور الإعلامي في حملة السلامة المرورية، التي تحوّلت حوادثها إلى آفة عصرية بسبب عدم التقيد بالقواعد المرورية، فيقدّم للأطفال إشارات المرور الضوئية في شكل درس شعري، ويشرح لهم معاني الألوان الثلاثة، ويحثّهم على السلوكيات القويمة تجاه هذه الإشارات، ليمدّ ثقافتهم بمختلف أنواع المعرفة بمعلوماتها وحقائقها ذات الاتصال المباشر ببيئتهم، ففي أنشودة (إشارة المرور) يقول:

وَهَـــــذهِ الإِشَاره *** لصَاحِـــــبِ السيَّارَه
أَنوارُهَا مُلـــــوَّنَه *** واضِحَـــــــة مُبيَّنَه
فَأَحمـــــر وأَخـضر *** وبيـــــنَ ذَاك أصفَر
فَالأَحمـــــر المِـــرور *** إذا-بَدَا-مَحْـــــظُور
لأنَّ فِيـــــهِ خَطَرَا *** لمن مشَى، وَمنْ جَرَى
والأصفرُ التّنبِـــــيه *** يَلحَـــــــظُه النَّبِيه
والأخضــرُ العلَامه *** لِطَالـــــــبِ السَّلامَه[53]

4- مضامين الطبيعة:

إنّ النّاظر في شعر الأطفال، تتجلّى له حقيقة تأثير الطّبيعة على الشّعراء وشخصياتهم حدَّ الافتتان بها، فقلّما نجد عملا شعريا يخلو من عناصرها، حتّى غدت ملهمتهم وموسيقى إنشادهم، ومنبع أحاسيسهم ورؤاهم.

والشّاعر حسن السوي جلس على محور الأشياء، وتأمّل في سرّ الطّبيعة، وغذّى عواطفه من مآثرها "يتقلّب مع الفصول الأربعة، وينظر إلى ملايين الأشياء، يفكّر في تعقيد هذا الكون، فيحزن لتساقط الأوراق في الخريف المفعم عنفوانا، وتملؤه غبطة أكمام الزّهر النّاعمة في الرّبيع العطر. ويعاني البرودة وقلبه حافل بالرّهبة. فإذا اطمأنّت روحه حوّل نظراته إلى الغيوم...أخذ يتغنّى بالعبير النّقي"[54] ويتجوّل في غابة شعره متغنّيا بالطّبيعة في لوحات شعرية غاية في الرّوعة، وجّهها إلى أطفال ليبيا خاصّة وأطفال العرب عامة، واقتبس من الطّبيعة (الزهرة والعصفور) لوسمِ ديوانه، وهو عنوان لأحد أناشيده في هذا الديوان، وهو ما يؤكّد أنّ الطّبيعة صارت جزءا من كيان حسن السوسي، وقِطَعا من نفسه يصوّرها ويُسقط عليها نفسه، كما يفعل الطّفل تماما مع ألعابه،

في تلقائية واضحة، ممزوجة بأحاسيسه، ورؤاه، وتصوّراته، فها هو يقدّم الزهرة للطفل ويصف حسنها، طالبا منه أن لا يقطفها، حتى لا يخفي جمالها حيث يقول:

هـذي الزَّهرَه *** فوق الغصـن
شَاهــدْ فِيها *** معنى الحُسـن
لا تَقْطِفــها *** لا تقصفــها
وانظُــرْ فيها *** حسنَ الكون[55]

نلاحظ في النتفة السابقة أن حسن السوسي قد ركّز على الصورة البصرية بالألوان لجعلها قريبة من الأطفال، باستعمال الألفاظ التي تدل على اللون(شاهد، أنظر، الحسن) لأنّ اللّون من أجمل عناصر الطّبيعة، ومن أهمّ عناصر الّصورة الشّعرية؛ لتنوّع دلالاته الفنّية، ذلك أنّ الصّورة الشّعرية "لا تخلو بحال من اللّون فيها، من أحمر وأبيض وأخضر وغيرها من الألوان المركّزة والخفيفة...وكذلك ما توحي به بعض الألفاظ من رموز تدلّ على لون أو معنى فيه شبه اللّون"[56] ثم انتقل في النتفة التالية إلى الصورة الصّوتية، واستعمل في تشكيلها أصوات الحيوانات القريبة من الطّفل؛ لأنّ "السّمع أقوى من الحواس الأخرى وأعمّ نفعا للإنسان من النّظر مثلا في تمييز المرئيات، ومن الشّم في التّعرّف على الرّوائح...والسّمع حاسة تستغلّ ليلا ونهارا، وفي الظّلام والنّور وفي حين أنّ المرئيات لا يمكن إدراكها إلّا في النّور"[57] لذلك وظف العصفور وصوته قائلا:

والعصفُــورُ الْـ *** ـفَــوقَ الفنَنِ
لــمَّا غَــــنَّى *** طَربــتْ أذنِي
لا تُفــــزعــــه *** بعــــد الأمنِ
واسمــــع منه *** أحلـــى لحنِ[58]

وقد كانت البيئة ذات تأثير عميق في ذوق الشّاعر حسن السوسي وفي شعوره وخياله، فاجتمعت بعض عناصرها عنده متمثّلة في الطّبيعة الصحراوية، لتصنع فيه ذوقا أرقّ من الأذواق، فكان الجمل سنام هذه الطبيعة على اعتبار أن معظم جغرافية ليبيا صحراء، فله مكانة بارزة في البيئة الليبية، فهو المحبوب الذي لا يكاد بيت صحراوي يخلو من هديره؛ لأنّه ببساطة صديق الإنسان وسفينته في تلك الرّبوع، ولذلك أفرد له قصيدة (الجمل) ليصفه للأطفال وصفا مبنيا على

الصورة الحسية، مستعملا الصورة الاستعارية الشهيرة (سفينة الصحراء) محوّلا النّص برمّته إلى صورة استعارية كبرى في صورة ذهنية واحدة عبر التّفاعل اللّغوي، حيث يقول في مقطع منها:

سفينة الصّحـراء *** وحامل الأعـــــباء
سنامُه مقمَّـــــع *** وجوْفُـــــــه مُتَّسع
وجسمـــــه كبير *** وذيـــــــلُه قصير
وهو صَبور دائما *** على الصّيام والظّما
يسعى به الوليـد *** يركـــــــبُ أو يقود
فهو ذلول طيّــع *** يمضي بـــــه ويرجع[59]

الخاتمة والنتائج:

لقد اتضّح لنا من خلال البحث: مضامين الشعر الموجّه للأطفال في ليبيا ديوان (الزهرة والعصفور) لـ: حسن السّوسي أنموذجا ، أنّه ليس بالإمكان الإحاطة بكلّ نتائجه، لأنّه البحث لايزال مفتوحا على نبش آخر معمّق، ولكن ساقتنا الحتمية إلى استخلاص أهم النتائج وبعض الملاحظات في الآتي:

1- تشكّل شعر الأطفال في ليبيا على يد المعلّمين في المدارس والمعاهد ، لغايات تعليمية وتربوية، وأهداف وعظية.

2- انفتح شعر الأطفال في ليبيا على الثّقافة العربية والأجنبية التي كانت محاصرة من قبل المستعمر قبل الاستقلال، إلى مستويات جديدة وأساليب متجدّدة في أدب الأطفال بعامة وشعر الأطفال بخاصة، على يد الشاعر حسن السوسي، وكان من أهم مظاهر تجديدها ظهور التّنويع في القوافي، وكانت انطلاقته الحقيقية مع بداية تسعينات القرن الماضي.

3- أعمال الشّاعر حسن السوسي للأطفال تستحقّ الدراسة والنّبش في أغوارها؛ لأنّه عايش من خلالها معظم النّواحي الضّرورية لحياة الطّفل واهتماماته.

4- تناول حسن السوسي ومن خلاله شعراء الطفولة في ليبيا الجوانب الدينية للطّفل، وجسّد علاقته بربّه، ووافق قيمه الشّعرية مع العقيدة الإسلامية للطّفل.

4- نوّع في المضامين الاجتماعية والتربوية والتعليمية والأخلاقية، وواءم بينها وبين مراحل الطّفولة، وأدرك أهمّية الجوانب المرتبطة بحياة الطّفل، فغذّاها بالتّقويم التّربوي، والتجسيد بالاعتماد على اللون والحركة والصوت.

5- راعى في لغته الشعرية مراحل التّطوّر اللّغوي للطّفل، فجاءت مناسبة لقاموسه اللّغوي، حيث تميّزت المفردات والعبارات بالوضوح والسّهولة والقصر مع مناسبتها للمضامين، وخلّوها من كلّ فجّ ومعقّد وغريب.

6- لم يقنّن حسن السوسي عمله الشعري للأطفال وفق مراحل الطّفولة ومن خلاله شعراء الطّفولة في ليبيا، واكتفى بعموم التّوجيه (للتلاميذ، للأطفال) .

7- وأخيرا أزعم أن الشاعر المعلم حسن السوسي سخّر موهبته الأدبية الممزوجة بنفحاته التّربوية، ومعرفته بعلم النّفس من أجل أطفال ليبيا، وهو توجّه لا يمتطي صهوته إلا فارس مُجيد.

هوامش:

[1]- من مواليد 1924م, بمنطقة الكفرة جنوب ليبيا, لقى تعليمه الأولي في مصر ؛ وحفظ القرآن علي يد والده وغيره من المشايخ ؛ وتأثر بالفكر السنوسي ؛ وترقى حتى حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية عام 1943، وتنقل بعدها في بعض البلدان العربية ؛ كلبنان وتونس لحضور دورات تربوية هناك، فاكتسب الكثير من المعرفة، عيّن معلّما، ثمّ مفتّشا حتى تقاعده سنة 1988، وهو شاعر معاصر أول من كتب للطفل في ليبيا ديوانا خاصا بهم وهو (الزهرة والعصفور) سنة 1992, له عشرة دواوين شعرية مطبوعة نذكر منها: الركب التّائه1963، ليالي الصيف1970، الفراشة1988، الجسور1998، ألحان ليبية1998، توفي في 21-11-2007.(ينظر، سالم محمد العواسي: أدب الطفل في ليبيا، ط1، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2006، ص:243.)

[2]- حسن السوسي: ديوان الزهرة والعصفور، ط1، الدار الجماهيرية، ليبيا، 1992، ص:06.

[3]- نجلاء محمد علي أحمد: أدب الأطفال، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص:109.

[4]- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ط1، دار النّهضة العربية، بيروت، 2010، ص:426.

[5]- منيرة صالح: راهن أدب الطّفل في الأردن، ط1، دار غيداء، عمّان، 2011، ص:76.

[6]- أحمد مبارك سالم: أدب الطّفل المسلم (خصوصية التخطيط والابداع) سلسلة روافد، الإصدار:76، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، الكويت، 2014، ص:62.

[7]- رضوان إبراهيم: التّعريف بالأدب التّونسي، ط1، الدّار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1977، ص:13.

[8]- عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2015، ص:56.

[9]- الصيد محمد أبو ديب: أحمد أحمد قنابة، دراسة وديوان، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص:203.

[10]- عميش عبد القادر: قصّة الطّفل في الجزائر، ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012، ص:33.

[11]- عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ص:61.

[12]- العيد جلولي: النص النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، دراسة، ط1، موفيم للنّشر الجزائر، 2008، ص:88.

[13]- عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ص:64.

[14]- عبد اللطيف المسلاتي: ديوان (20قصيدة للأطفال) ج1، ط1، دار الحياة، بنغازي، 1995، ص:04.

[15]- عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ص:68.

[16]- مروان كوجك: أناشيد إسلامية، ط3، دار الأرقم، الكويت، 1987، ص:08.

[17]- عميش عبدالقادر: قصّة الطّفل في الجزائر، ص:43.

[18]- عبدالرحمن بغداد: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نصّية تناصية) (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان 2007، ص:أ.

[19]- هيقل: المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، ط2، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطّليعة، بيروت، 1988 ص:460.

[20]- العيد جلّولي: النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص:185.

[21]- حسن السوسي: ديوان الزهرة والعصفور، ص:09.

[22]- المصدر نفسه: ص:09.

[23]- سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت) ص:239.

[24]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:53.

[25]- سيد قطب: التّصوير الفنّي في القرآن، ط17، دار الشّروق، القاهرة، 2004، ص:25.

[26]- سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) ص:239.

[27]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:51.

[28]- حسن شحاتة: أدب الطّفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدّار المصرية اللّبنانية، القاهرة، 1994، ص:212.

[29]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:125.

[30]- المصدر نفسه، ص:ن

[31]- محمد عبد اللطيف: بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص:113.

[32]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:35.

[33]- عبير النّوايسة: أدب الأطفال في الأردن (الشّكل والمضمون) ط1، دار اليازوري، الأردن، 2004، ص:112.

[34]- حسن أحمد عيسى: الابداع في الفن والعلم، سلسلة عالم المعرفة، العدد:24، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979، ص:117.

[35]- هيفاء بنت رشيد عطا الله الجهني: النّزعة الإنسانية في الشعر (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة أم القرى السّعودية، 2006 ، ص:12.

[36]- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:161.

[37]- عبد المجيد طعمة حلبي: التّربية الإسلامية للأولاد، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2001، ص:11.

[38]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:27.

[39]- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص:150.

[40]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:119.

[41]- المصدر نفسه، ص:ن

[42]- عبد الحميد بوزوينة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ط1، ج1، دار البشير، عُمان، 1990، ص:34.

[43]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:139.

[44]- المصدر نفسه، ص:151.

[45]- نفسه، ص: 79.

[46]- عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبد الرحيم الفيصل: أدب الأطفال، ط1، دار الكندي، الأردن، 2000، ص:52.

[47]- عبير النّوايسة: أدب الأطفال في الأردن (الشّكل والمضمون) ص:117.

[48]- ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 1985، ص:66.

[49]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:121.

[50]- أيمن عامر: الابداع والصّراع، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص:07.

[51]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:47.

[52]- المصدر نفسه، ص:131.

[53]- نفسه: ص:ن137.

[54]- أرشيبالد مكليش: الشّعر والتّجربة (د، ط) ترجمة: سلمى الخضراء الجويني، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنّشر بيروت، 1963، ص:13.

[55]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:33.

[56] - علي علي صبح: البناء الفنّي للصورة الأدبية في الشعر (د، ط) المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1996 ص:226.

[57]- إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية (د، ط) مطبعة نهضة مصر، مصر (د، ت) ص:14.

[58]- حسن السوسي: الزهرة والعصفور، ص:33.

[59]- المصدر نفسه، ص:79.